بسم الله الرحمن الرحيم

إن من خصائص شهر رمضان المبارك التي اختُصَّ بها من بين سائر الشهور هي إنزال القرآن فيه، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، بل أُنزل في أجلِّ ليالي شهر رمضان وأشرفها وهي ليلة القدر كما قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، وليس هذا فقط بل كان هذا الشهر هو الشهر الذي اختاره الله لإنزال الكتب فيه على الأنبياء، والدليل على هذا ما رواه الإمام أحمد وغيره عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: « أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ »[1].

إذا دخل رمضان فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام، هكذا كان يقول بعض من سلف من القرون المفضَّلة، وصدق رحمه الله، فهذا كان هدي نبيِّنا ﷺ: إقبالٌ على كتاب الله واجتهاد في تلاوته.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ »[2].

وكيف لا يُقبل المسلم على كتاب الله وهو أصل الهداية، ومصدر الرحمة والشفاء، وسبيل الصلاح والإصلاح، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

من أراد أن يكون من أهل الله، ومن خاصَّة رب العالمين

(١) رواه أحمد (١٦٩٨٤).
(٢) رواه البخاري (٦) واللفظ له، ومسلم (٢٣٠٨).

فعليه بهذا القرآن، يقول أنس: إن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: « هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ »[3].

ولا يبلغ المرء هذه المنزلة ولا يكون قائماً بحق القرآن في هذا الشهر المبارك ولا يصل إليها إلا إذا نصح لكتاب الله نصحاً صادقاً.

فمن النصيحة لكتاب الله: الإقبال على تلاوته والحرص على قراءته، استوصى أبو ذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال له النبي ﷺ: « عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ »[4].

ومن النصيحة للقرآن: الاستماع إليه والإصغاء إليه بالقلب والأُذُن، فهذا شأن رسول الله ﷺ حيث قال لابن مسعود: « إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ -أي: القرآن- مِنْ غَيْرِي »[5].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنما هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره»[6].

من تدبَّر كلام الله تعالى وتفهَّم معانيه وتفكَّر في ألفاظه فقد نصح لكتاب الله، إذ التدبُّر هو الغاية من إنزال القرآن، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩].

لنسأل أنفسنا -أيها الصائمون- أليس في كتاب الله أسباب النجاة، فهل سلكناها؟

أليس في كتاب الله أسباب الشقاوة، فهل اجتنبناها؟

أليس في كتاب الله الأمثال العظيمة، فهل عقلناها؟ ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾

(٣) رواه ابن ماجه (٢١٥).
(٤) رواه ابن حبان (٣٦١).
(٥) رواه البخاري (٥٠٥٥)، ومسلم (٨٠٠).
(٦) حلية الأولياء (١/ ١٣١).

[العنكبوت: ٤٣].

أليس في كتاب الله قصص الأنبياء والصالحين والأمم الماضية، فهل اعتبرنا بها؟ ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

أليس في كتاب الله صفة المؤمنين والمتقين، فهل اتصفنا بها؟

أليس في كتاب الله سيرة نبيِّنا ﷺ، فهل وقفنا عندها؟

أليس في كتاب الله تقرير حقوق الله، فهل قمنا بها؟

أليس فيه شرح حقوق الخَلْق، فهل أديناها؟

أليس فيه النداءات الإيمانية المتكررة التي يصدِّرها الله بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾، فهل استجبنا لها؟

وفيه وفيه... يقول الحسن البصري رحمه الله: «رحم الله عبداً عَرَض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله، وسأله الزيادة، وإن خالف كتاب الله أَعْتب نفسه ورجع من قريب»[7].

من تدبَّر كلام الله تعالى أحبَّه -نعم- أحبَّ الله تعالى وأحبَّ كتابه، وهذا من النُّصح لكتاب الله.

ومن تدبَّر كلام الله عمل به ووقف عند حلاله وحرامه، وانقاد لأوامره وانزجر عن نواهيه، وهذا من النُّصح لكتاب الله.

من تدبَّر القرآن استشفى به من أمراض القلوب والأبدان، وهذا من النُّصح لكتاب الله.

قال ابن القيم رحمه الله: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته...وتعطيه قوة في قلبه، وحياة، وسعة وانشراحاً وبهجةً وسروراً، فيصير في شأنٍ

(٧) أخلاق حملة القرآن (٢).

والناس في شأن آخر»[٨].

ومن هنا يقال لكل من أراد أن يعلم ما هو؟

ما هي معالم شخصيته؟

وما مدى قُربه من ربه وبُعده عنه؟ تأمل في قول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أحبَّ أن يعلم ما هو فليَعْرض نفسه على القرآن»[٩].

ومن أراد الانتفاع بالقرآن فعليه بالإخلاص لله تعالى والطمع في فضل الله عند تلاوته، فقد قال ﷺ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، وَابْتَغُوا بِهِ اللَّهَ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ، يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ»[١٠]، والمعنى: يتعجَّلون أجر قراءته من طلب مال أو سمعة أو شهرة أو رياء ونحو ذلك.

وعلى قارئ القرآن أن يعتني بما عليه النبي ﷺ وأصحابه عند تلاوة القرآن، وأن يصنف الآيات التي يقرأها ثم ينظر في المطلوب شرعاً منه نحوها، إن كانت أمراً امتثل ما فيها، وإن كانت نهياً كفَّ عمَّا نُهي عنه فيها، وإن كانت خبراً بادر للتصديق بما فيها إلى غير ذلك مما تقدم.

وعليه الاتصاف بالصفات المساعدة له على الانتفاع بالقرآن والاهتداء به، والتذكر به، والتي بيَّنها الله تعالى بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق: ٣٧]، وقوله: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾ [يس: ٦٩-٧٠].

فهذه أوصاف من يتأثر بالقرآن وينتفع به: لزوم تقوى

(٨) مدارج السالكين (١/٤٥٠).
(٩) أخلاق حملة القرآن (٤).
(١٠) رواه أحمد (١٤٨٥٥).

الله تعالى، والخوف من الله تعالى، والوجَل منه، مع حضور القلب عند تلاوته، والإنصات التام الذي يقتضي عدم الالتفات إلى غيره أو الانشغال به.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضُرْ حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله»[١١].

هذا مع الحرص التام على اجتناب الأسباب الموجبة للحرمان من الانتفاع بالقرآن.

قال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر، أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق...وهذه كلها حجب وموانع وبعضها آكد من بعض»[١٢].

ومن أتى بما يوجب انتفاعه بالقرآن، وابتعد عمَّا يؤدي إلى حرمانه من ذلك ظهرت عليه ثمرات التأثر بالقرآن، وبدت عليه آثاره وحسناته من زيادة الإيمان والهدى، ونيل رحمة الله تعالى، والبصيرة في دين الله، وظفر بالبركة من الله في أقواله وأعماله وعباداته وعقيدته، ونال عز الدنيا والآخرة، وفاز بأجر التلاوة، وتلذذ بحلاوة القرآن عند ترداده وتكراره، إلى غير ذلك من الآثار الحميدة، والفضائل المباركة.

والحمد لله رب العالمين.

لمزيد من المطويات

(١١) الفوائد (ص٣).
(١٢) البرهان في علوم القرآن (٢/١٨٠).

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

سلسلة مطويات شبكة بينونة

هكذا ننتفع بالقرآن

الشيخ يوسف بن حسن الحمادي